

الملف الجهادي

● «القاعدة» خارج الانتخابات والسلفيون أداة باستخدامات متعددة
● المجموعات الجهادية خمسة أنواع غير متجانسة
● كاذبون من السلفيين وعدوا العبسي بالنصرة ثم مارسوا التفتية



بسيط كسيف الدين الحسامي على جبهة العمل الإسلامي.

إلا أن هذا المنطق لا يغلق أبواب أطراف سياسية شمالية باتت تعلم أن الزمن يقترب من وقت حصاد الزرع، وأن عمل المعارضة لأكثر من ثلاثة أعوام سينتج قريباً، وقريباً جداً، وأن فشل «المستقبل» لن تسعفه كثيراً الميزانيات الهائلة المرصودة للانتخابات، وخاصة أن الاطمئنان إلى الأفق السياسي هو ما سيحكم الانتخابات، والأفق السياسي لن يكون بعد اليوم لا لواشنطن، ولا لحلفاء فرنسا (بنسختها الشيراكية) ولا لمن نظر للنفوذ السعودي مقابل المد الإيراني.

الانتخابات والفوز

هذا المنطق يطرح مخاوف أمنية من تعرّض مسيحيي المعارضة خاصة، وبعض أطرافها الإسلامية إلى عمليات اغتيال تطيح حتى بالانتخابات. وبينما ينقل زوار دمشق أن لا اتفاقات في المدى المنظور، من اليوم حتى انتهاء الانتخابات الأميركية وكل ما يجري هو مجرد تفاهات، فإن في عاصمة الشمال من يؤكد أن السعودية سرّبت إلى أكثر من طرف شمالي أن المصالحة ليست أكثر من تفاهم يسمح بإعادة تموضع للقوى، تمهيداً لمرحلة الانتخابات.

الخريطة التي ستجري على أساسها الانتخابات بدأت تصح. فالمعارضة تسعى إلى ربح نصف عدد نواب الشمال، أي 14 نائباً، بغض النظر عن مستوى نصوح المعارضة السنية بمواجهة المستقبل والمجموعات السلفية وشبه السياسية المتخلقة حوله.

وستعتمد المعارضة إدارة مركزية موحدة للانتخابات، بيد الطرف الأقوى فيها، وستحدد المرشحين، والإنفاق المالي، وخطط العمل في كل المناطق، بما فيها

المجموعات السياسية العاملة في مناطق ملتجة في الشمال من سلوك حزب الله، فهو برأيهم «لا يتدخل كفاية في الشمال، بينما نحن نشهد المئات ممن يطلبون اللجوء السياسي إلينا، ولا نمتلك القدرة على استيعابهم». أما حزب الله، ومن خارج السياق التقليدي لتسريب المعلومات، فإنه يلتزم الصمت، ومن يبحث خلف منطلق حزب الله في إدارة الأمور يجد الجواب الآتي: لا يمكن تكرار أخطاء حركة فتح، ولستأ بوراد أن نمثل أبو عمار (باسر عرفات) آخر، لا في الشمال ولا في أماكن أخرى. ثم إن تجربة استيعاب كل من يطرق أبواب المعارضة في الشمال فشلت بعدما انقلب شخص

أن ثبت أن الشمال «ليس ورقة في جيب تيار المستقبل»، كما كان يعتقد البعض، وأن الزعيم الشاب سعد الحريري، كما السفير السعودي عبد العزيز خوجة، اضطرراً إلى الركض شمالاً، لتدارك الموقف بعد عدد من الانفجارات والأعمال الأمنية هناك.

حتى على المستوى المعنوي، فإن من كان إلى الماضي القريب يتهم الآخرين بالعمالة لسوريا ويرفع راية الحقيقة، بات اليوم يبحث فعلاً عن الحقيقة، ولا يدعي أنه يمتلكها، وباتت الأكثرية في الشمال تدقق في علاقتها بأطراف المعارضة، وتبحث عن الأمن والأمان لديهم. وصل الأمر إلى أن شكى البعض من

وفين صدومته

أي سؤال. وعندما سألتهم لماذا أوقفتموني؟ قالوا لي: طول بالك. وبعد ذلك أعودوني إلى البيت. وأوضح أن أبناءه الثلاثة «نقلوا إلى بيروت، ثم أفرج عن اثنين منهم، زياد ونبيه».

ابنه زياد (35 عاماً)، الذي يعمل مديراً لشركة تركية تنفذ مشاريع في الجزائر، أكد أنه لا يعرف سبب توقيفه. «أسئلة المحققين كانت عامة، وتمحورت حول مكان دراستي وسكني وعملي، إضافة إلى الانتماءات السياسية لأفراد العائلة، قبل أن يعطونا جوازات السفر ويطلقوا سراحنا لاحقاً».

وينفي زياد أي علاقة لأحد من العائلة بتنظيم «فتح الإسلام» أو غيره. ويقول إنه كان سيغادر لبنان إلى مركز عمله، أول من أمس، بعدما أتى لحضور حفل زفاف شقيقته. أما شقيقه نبيه الذي يعمل في ألمانيا منذ 8 سنوات، فأشار إلى أن

قالت لـ «الأخبار» إن دورية من فرع المعلومات دهمت عند الرابعة من فجر الأحد منزلها في التبانة، «وسأل أفرادها عن مكان وجود شقيقها، فأخبرتهم بأنه موجود في منزله في بلدة ببنين».

واستبعدت جوهر أن يكون شقيقها متورطاً في تفجيرات طرابلس لـ «كونه تلقى تربية وطنية في المدرسة، وهو بعيد عن التطرف، رغم التزامه الديني، مطالبة إياه بتسليم نفسه إلى القضاء». ودعت إلى إطلاق شقيقها علناً الموقوفة مع زوجها محمد محرز، «من دون أي تهمة، سوى أنهما كانا بأويان عبد الغني في منزلها في التبانة».

من جهتها، طالبت فوزية محرز، والدة محمد محرز، بمعرفة مصير ابنها وزوجته. وقال أحد سكان المبنى الذي يقطن فيه محرز إن القوى الأمنية صادرت أجرة ناسفة من داخله وسلاحاً ومبلغاً من المال.



الباب اللي بيجيك منو ربح...

جديد وزير الإعلام السوري محسن بلال التأكيد أن «سوريا لن تتهاون وستكون صارمة في ضبط الحدود مع لبنان ولن تتساهل في أي شاردة وواردة»، نافياً «وجود نية لدى سوريا بإعادة نشر جيشها في لبنان». وإذ أكد أن انتشار القوات على الحدود «إجراءات احترازية لعدم تسلل إرهابيين»، تمثّل بالقول الشائع: «الباب اللي بيجيك منو ربح سيدو واستريح».

كل الشمال، بينما ستعتمد سوريا إلى مراقبة عكار عن كثب، وخاصة أن اللعب بالملف السني شمالاً يثير حساسية النظام السوري ككل. ولم تنس دمشق بعد خروجها من لبنان والدعوات إلى قلب النظام وإرسال السيارات المفخخة إلى دمشق، وهي تعلم أن حالة الترقب هذه لن تمر دون ضغط الملف الأمني عليها وعلى حلفائها، ومن ضمنهم ما يسمى سنة المعارضة. واليوم، ترى أمامها فرصة ذهبية ستكون عبر المساعدة في الملف الأمني في عكار والضنية والمنبة وطرابلس والمخيمات الفلسطينية، ما يبرر ليس فقط إجراءات أمنية محدودة، بل تنسيقاً أمنياً قد يكون طويل الأمد بين البلدين.

وفي هذه الخريطة، فإن موقف الرئيس نجيب ميقاتي يبدو ملتبساً لدى قوى نافذة في المعارضة، وخاصة لجهة رفضه أن يكون طرفاً مع دمشق ضد الرياض، أو مع السعودية ضد سوريا. ولكن في كل الأحوال، فإن العلاقة مع ميقاتي ستخضع لتنظيم رئيس مجلس النواب نبيه بري وتدبيره، وسيكون عنوان انتصار المعارضة الفوز بالانتخابات بأكثر من نصف عدد مقاعد المجلس، ثم بتسمية رئيس للحكومة لن يكون سوى أحد الذين يمثلون وجهة نظر المعارضة بالكامل، وإعطاء الأقلية الثلث الضامن، كما أشار سابقاً الأمين العام لحزب الله حسن نصر الله.

وفي مواجهة مسعى المعارضة، تبرز الوجهة السعودية اليوم بالحفاظ على حصريّة الملف السني بيدها وبيد حلفائها. ويروي العديد من الناشطين من المعارضة الشمالية عروضاً قدمت لهم بالواسطة، لا للانتقال من صف إلى آخر، بل فقط لتعطيل دورهم، والاكتفاء برفاهيات الحياة. ويأتي تحصين مواقع «القوات اللبنانية» في إطار الحفاظ على مواقع حلفاء السنة و«المستقبل». وفي هذا الإطار، يتحدث العديد من المصادر عن معلومات باتت «بحكم المؤكدة» عن صرف مبالغ هائلة على الانتخابات النيابية، يُقسم ما بين النفقات المباشرة للحملات الانتخابية لقوى 14 آذار وأقطابها، بحصة 75 في المئة، مقابل 25 في المئة لمشاريع إنمائية ترعاها هذه القوى في المناطق الأفقر والأشد كثافة سكانياً. وتقول المعلومات المتوافرة إن تيار «المستقبل» سيتولى توزيع المبالغ المالية

الآتية من السعودية على الحلفاء، وإن حصة «القوات» ستكون كبيرة، نظراً إلى ضعفها بين أقرانها من التيار الوطني الحر وتيار المردة، وإن المعركة المسيحية - المسيحية في الانتخابات بحاجة إلى رعاية مالية مميزة، وإن التنظيم العالي الذي أظهرته «القوات» هو نموذجها لإدارة هذا الصراع الانتخابي.

وفي هذه الخريطة أيضاً وإيضاً، فإن تيار المستقبل تبلغ عبر زوار أميركيين رفيعي المستوى معارضة بلادهم لفوز إسلاميين على لوائحه (واستطراداً على أية لوائح أخرى) وأن أي بروز لقوى إسلامية «غير مرغوب فيه حالياً»، مما جعل العديد من القوى تفك ارتباطها مع التيار، وبقي بعضها يفضل الإغراء المالي بحال مشاركته في العملية الانتخابية، من دون الترشح فيها، وهو ما شجّع عدداً من المجموعات السلفية على الانخراط من اللحظة الأولى بحماسة أكثر من المطلوب، فاحترقت وباتت تمثّل عبئاً على «المستقبل» في الشمال، قبل أن تصل إلى مرحلة تسمية اللوائح أو حتى فتح الاعتمادات المالية للحملات، فاستبعد دور العديد من المجموعات السلفية، حتى بعض تلك التي كانت تقف إلى جانب سعد الحريري يوم توقيع وثيقة المصالحة في طرابلس.

وأعاد «المستقبل» في الشمال تشكيل المسؤولين عن عدد من الملفات الأمنية والعسكرية، كما أعاد رفع مستوى الرواتب المناصبية، فأصبح يدفع ما بين 300 و600 دولار أميركي للعناصر بحسب المنطقة (تختلف الرواتب في طرابلس عنها في بعض المناطق المنية)، كما وصلت رواتب بعض قادة المجموعات إلى ألف دولار شهرياً، بينما تدفع «القوات» أيضاً لطلاب في الجامعات «مساعدات» تصل إلى 400 دولار. وتظهر المعارضة إلى هذه المجموعات بعين الرضى، وخاصة أنه من الصعب توريثها عسكرياً، وبالتالي فهي مجرد توفير عمل لعدة آلاف من الشبان لمرحلة الانتخابات، وأن شعار الميليشيا ليس ذا معنى بعد السابع من أيار. وإن كان هناك في «المستقبل» من يتحدث عن احتمال عدم إجراء الانتخابات، فإن منطق المعارضة هو «سنصل إلى السلطة، بالانتخابات أو غيرها».

وعلى مستوى المعارضة السنية، فإن الأمور لا تسير كما يجب في جبهة العمل الإسلامي التي بدأت تتكون فيها مراكز قوى ونفوذ، قد تكون مضرّة في مرحلة الانتخابات النيابية. إلا أن هذه المعارضة، على مستوى آخر، تتلقى إشارات إيجابية من أطراف سلفية وجهادية وإسلامية تؤكد لها أن لا علاقة لها بالانتخابات النيابية أو بالقاعدة، ومن هذه الأطراف التي أرسلت رسائل تطمين الشيخ سالم الرافعي.

وفي خضم هذه التعقيدات، يعمل مفتي طرابلس الشيخ مالك الشعار على تكليف مجموعة محيطية به تسهيل تجميع القوى الإسلامية، من الأطراف كافة لتجنب المدينة الأسوأ. وتجنبه قوى المعارضة بالموافقة، شرط عدم وجود قوة راعية لعملية التجميع، بينما ينصل ضباط من فرع المعلومات بعدد من المعارضين، قائلين «لم يكن بيننا علاقة في الماضي، ونتمنى اليوم أن تكون هناك علاقات، وأخبرونا إن شئتم».

ويختم أحد رجال الدين السلفيين لقاءه معك بتحذيرك من «الكاذبين من السلفيين، أولئك الذين وعدوا شاكر العبسي بالنصرة، وتخلوا عنه وحلقوا لحاهم يوم حاصره الجيش اللبناني. أولئك هم الذين يمارسون التفتية، لا الشيعة، وهم يمثلون تياراً سلفياً داخل تيار المستقبل، لا تياراً سلفياً في لبنان».